مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X

المجلد 5 / العـدد: 1 (2020)، ص 74– 82

الأعضاء الفاعلون في مؤسسة المسجد –المؤذن والمنظف–

the active members in the mosque's association- the muezzin and the cleaner.

د عدنان مهنديس ، كلية الآداب سايس مدينة فاس المغرب، mhndysdnan@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/01/24 تاريخ القبول: 2020/02/02 تاريخ النشر: 2020/07/24

ملخص:

يعتبر المؤذن والمنظف عنصران مسجديان فاعلان بشكل كبير في مختلف الأنشطة المسجدية التي يضطلع بها داخل المجتمع الإسلامي، ولا شك أن نجاح وظيفة كل واحد منهما يتطلب من المكلف بها أن يكون على إلمام واستيعاب تام لمختلف المهام المنوطة به، مع التحلي بمجموعة من القيم الأخلاقية التي تعينه في أداء مهمته وتجعله محبوبا مقبولا عند مرتادي المسجد، وبات من الجدير بالذكر أن يعتبر مهام المنظف لصيقا بمهام البواب، نظرا لعدة اعتبارات عرفية وتنظيمية، مع أن مفتاح التوفيق والقبول في كلا العملين رهين بالنية الصالحة في احتساب أجر العمل الذي دل عليه النص ثبوتا، مع لزوم الصبر المصاحب لكل حركة وسكون في ذلك لأنه مفتاح الاستمرار.

الكلمات المفاتيح: المؤذن؛ المنظف؛ البواب؛ المسجد.

Abstract:

The muezzin and the cleaner are active agents in the mosque who effectively determine the different activities of the mosque within the Islamic community. The success of each function requires the full awarness of the assignee of the various tasks that are missioned to him with a set of ethical values that define him. Also, it has become a must to mention that the tasks of the cleaner are closely related to the doorman's tasks taking into consideration many organizational and customary objectives. So that, the acceptance and conciliation of each work depends on each one's good intention to get the reward from Allah that is already indicated in the sacred text. However, it is a nessecity to associate patience and righteousness with each movement because they are keys to go on.

Key words: Muezzin, cleaner, doorman, mosque.

1*. مقدمة:

لا يمكن للرسالة المسجدية أن تأخذ طريقها ووجهتها نحو الوظائف المنوطة بها إلا بتضافر جهود الأعضاء الفاعلين داخل هذه المؤسسة، ولا شك أن هؤلاء الأعضاء يؤدون مهامهم بشكل محدد في إطار مترابط ومتكامل، مما يجعلهم في منظومة وظيفية، يمكن تشبيهها بالجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وعليه؛ فإن كلمات هذا المقال تحاول تسليط الضوء على أنموذجين من نماذج هؤلاء الأعضاء الفاعلين في الرسالة التفاعلية للمسجد، وهما: المؤذن والمنظف، وانطلاقا من هذا الاختيار؛ جعلت تقسيم هذا المقال في عنصرين أساسين: موقع المؤذن في الرسالة المسجدية–موقع المنظف والبواب[1] في الرسالة المسجدية، وسلكت في معالجة العنصرين المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتأصيل هذا الموقع التفاعلي وإعادة تركيب وتفكيك عناصره التفاعلية انطلاقا من المعطيات الشرعية والواقعية؛ واستنادا كذلك لمجموعة من المصادر والمراجع المؤطرة للموضوع، والتي هي مدونة وفق أعراف البحث الأكاديمي في آخر هذا المقال.

2. موقع المؤذن في الرسالة المسجدية.

وهو عنصر هام في المسجد لا يمكن الاستغناء عنه أبدا، فهو المنادي بدخول أوقات الصلوات، وعلى إثره يتجمع الناس لأداء هذا الواجب، والأذان وسيلة ومقصد في آن واحد، فهو وسيلة لأداء الصلاة المفروضة في جماعة، حيث لا يتأتى اجتماع الناس وتوجههم للمسجد إلا به، وبالتالي يتعين القول بوجوبه من هذا الجانب عملا بالقاعدة الأصولية في باب الأحكام الشرعية: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما يعتبر مقصدا شرعيا لأنه عبادة مستقلة بنفسها ورد فيها ذكر أجور خاصة، وذلك نظرا لما اشتمل عليه من ذكر لله تعالى وتعظيمه وإقرار بشهادة التوحيد المتضمنة للإقرار كذلك بالرسالة، ولنا أن نقول: إن الأذان شعار وعلامة بينة للأمن، يرتبط به ارتباطا وثيقا، حيث **إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ " يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ فَكَانَ يَتَسَمَّعُ الْأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِلَّا أَغَارَ فَاسْتَمَعَ ذَاتَ يَوْمٍ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَلَى الْفِطْرَةِ , فَقَالَ الرَّجُلُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ»**[2].

ومن الأحاديث التي وردت تبين عظم أجره وترغب في فعله: عن طلحة بن يحيى، عن عمه، قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان، فجاءه المؤذن يدعوه إلى الصلاة فقال معاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة**))[3]، ولا تظهر القيمة الروحية لفضل هذه الشعيرة إلا بالرجوع إلى دقائق شُرّاح الحديث.

فيطلعنا الإمام النووي (676هـ) على طائفة من المعاني الراقية لطول العنق الوارد في هذا الفضل فيقول: أطول الناس أعناقا" هو بفتح همزة "أعناقا"، جمع عنق، واختلف السلف والخلف في معناه.

1) فقيل: معناه: أكثر الناس تشوفا إلى رحمة الله تعالى، لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه، فمعناه: كثرة ما يرونه من الثواب.

2) وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق.

3) وقيل: معناه أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق.

4) وقيل: معناه أكثر أتباعا، وقال ابن الأعرابي: معناه أكثر الناس أعمالا.

5) ورواه بعضهم: إعناقا بكسر الهمزة، أي: إسراعا إلى الجنة وهو من سير العنق.[4]

وورد هناك معنى **سادس** في السنن الكبرى للبيهقي على إثر شرح هذا الحديث ممن رواه: [لَيْسَ أَنَّ أَعْنَاقَهُمْ تَطُولُ وَذَلِكَ إِنَّ النَّاسَ يَعْطَشُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِذَا عَطِشَ الْإِنْسَانُ انْطَوَتْ عُنُقُهُ وَالْمُؤَذِّنُونَ **لَا يَعْطَشُونَ** فَأَعْنَاقُهُمْ قَائِمَةٌ][5].

ورغم يسر كلمات الأذان؛ فهي عظيمة الأجر والمنفعة دنيا وأخرى، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الله تعالى يرفع بالأذان مكانة صاحبه انطلاقا مما ذُكر من المعاني في هذا الصدد، فإن بلالا قبل إسلامه كان عبدا حبشيا ينتمي إلى الطبقة السفلى في اعتبار أهل الجاهلية، لكنه بمجيء الإسلام ودخوله إليه، وتشرفه بتقلد مهام المؤذن للجماعة المسلمة، تحول بذلك إلى سيد من أسياد المسلمين، بل بُشّر بالدخول إلى الجنة بشارة نبوية تعلي من مقامه في الدنيا والآخرة.

كما أن الأذان يطرد الشيطان ويبعده وبالتالي يتم التخلص من وساوسه ونزغاته، ويروى في ذلك حديث عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء» قال سليمان: فسألته عن الروحاء فقال: هي من المدينة ستة وثلاثون ميلا**))[6].

والأذان حجة لصاحبه يوم القيامة، حيث يكون سببا لشهود من يسمعه في موقف الحساب، سواء كان السامع من قبيل الجماد أو من المكلفين، وفي ذلك حديث من رواية أبي سعيد الخدري إذ يقول: إذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالأذان، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**لا يسمعه جن ولا إنس، ولا شجر ولا حجر، إلا شهد له**))[7].

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم المؤذن ومن يتابع معه الأذان لفظا وتدبرا بدخول الجنة فعنالنضر بن سفيان الدؤلي حدّثه أنه سمع أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: كُنَّا مِعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِتَلَعَاتِ[8] النَّخْلِ، فَقَامَ بلالٌ يُنَادِي، فَلَمَّا سَكَتَ، قَال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((**مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ هذَا يَقِيناً دَخَلَ الجنة**))[9]، ويمكن أن نضيف حديثا آخر في نفس سياق فضل الآذان مشهور في الدعاء بعد الأذان وهو عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**))[10].

والفرق بين الحديثين هو أن الحديث الأول يشير بالضبط إلى متابعة المؤذن وما يترتب عليها من عظيم الأجر، أما الحديث الثاني فهو يبين أجر الدعاء الذي يلي الآذان وما ينبغي أن يقال فيه طلبا للشفاعة يوم القيامة.

وينبغي أن تتوفر في المؤذن مجموعة من المواصفات تجعل منه عنصرا ناجحا وموفقا في أداء مهامه، ومن أهم هذه المواصفات ما يلي:

1-**انضباطه بالوقت واحترامه** له، بحيث يراقب باستمرار يومية التوقيت الزمني للصلوات الخمس، فلا يؤذن قبل الوقت ولا يتأخر عن باقي المؤذنين بجواره، وذلك لأن وقت الأذان له ارتباطات شرعية وتتعلق به تكاليف والتزامات تُبرأ بها الذمّة، فأذان المؤذن فجرا يتعلق به إمساك عن الطعام والشراب وشروع في الصيام، وأذانه كذلك في المغرب يرتبط به أكل وشرب وإفطار، وكم من المساجد ما يعيب عليها أهلها عدم ضبط مؤذنها لوقت الأذان فيترتب عن ذلك مشاكل وعدم تعويل على أذانه لعدم توفر عنصر الضبط فيه.

ومن أجلّ المظاهر التطبيقية لحرص النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتناء بمواقيت الأذان تعيينه لرجلين على رأس هذه المهمة وهما بلال الحبشي وعبد الله بن أمّ مكتوم، بل بيّن تدقيق مهمة كلّ واحد منهما حينما الفرق بين أذان كل واحد، فعن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إن ابن أم مكتوم يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال؛ فإن بلالا لا يؤذن حتى يرى الفجر**))[11]، ومعلوم أن عبد الله بن أم مكتوم كان ضرير البصر، حيث إن الصحابة يخبرونه بدخول الوقت لما يرون من تغير حال السماء، فيؤذن تبعا لذلك، هذا يدل على أن المؤسسة المسجدية فتحت الفصل لإشراك جميع الفئات بما فيهم المعاق باعتباره جزءا من المنظومة الاجتماعية العامة، وذلك في إطار العمل الوظيفي ذي الطابع الرسالي، فالدعوة الإسلامية لا مجال فيه لإقصاء طرف أو فئة معينة.

2-**تنويعه لصيغ وطرق الأذان**، مع الحفاظ على الألفاظ الشرعية الواردة فيه، حيث إن هذا التنويع يجدد تفاعل السامع مع الأذان وخشوعه لكلماته، وتنويع صيغ وطرق الأذان يتطلب امتلاك المؤذن لصوت نديّ[12] جميل، لأن ذلك مدعاة لتأثيره في السامع وحصول خشوعه، يقول الدكتور عبد العالي المعكول: 'لذلك ينبغي للمؤذن الذي ينادي للصلاة أن يكون **صيّتا** أي حسن الصوت حتى يؤثر في الناس بصوته الجميل كما قال الشاعر:

وجلجلة الأذان بكل حي ..... ولكن أين صوت من بلال'[13].

مع أن التأثير في الأذان وحسن الصوت فيه لا يعني تمطيط الصوت وتكلفه وتصنعه بشكل يخرج به عن الحدود اللازمة، والتي تصيره ضربا من ضروب الغناء المحذور، فهناك ضوابط أدائية ينبغي عدم الخروج عنها حتى يبقى الأذان مؤثرا.

3-اتصافه بخلق **الأمانة والثقة**، لأنه من أسس أداء المهام الدينية، وكم سمعنا بفضائح لمؤذنين يمارسون طقوس السحر والشعوذة، ويضعون تمائم سحر بالصومعة، ولا شك أن هذا يتنافى جذريا مع رسالة المسجد التوحيدية عامة ورسالة المؤذن خاصّة الذي يؤذن في

الناس بشهادة التوحيد، وخلق الأمانة يظهر في عقيدة المؤذن وفي سلوكه كذلك، من خلال اجتنابه لمواطن الريبة والشبهة، وهذا ما حمل المسؤولين على الشأن الديني في عصور سابقة لما كان الأذان يؤدى على الأماكن المرتفعة، أن ينتدبوا لذلك المكفوفين حتى لا يطلعوا على السطوح وتمتد أعينهم نحو المحارم، يقول الأستاذ أحمد متفكر: 'ومن التقاليد الطريفة أن بعض الدول الإسلامية كانوا يختارون المؤذنين من بين فاقدي البصر، لئلا يطلعوا على حريم المنازل المجاورة للجامع ... وكان في الكوفة محتسب لم يترك مؤذنا يؤذن إلا معصوب العينين ... وحكت لي جماعة أنهم شاهدوا قضية عجيبة بمراكش وذلك أن أحد الرؤساء أمر حشمه وخدمه أن يتظاهروا لديه في السلاح التام ليرى ما يعجبه منهم ... فبصر بهم مؤذن من منار مسجد كان يطلع على الدار، فصاح باللسان الغربي: غدرتم يا مسلمين، ودُخلت دار فلان، فتسابق الناس إلى الدار ووقعت رجة عظيمة وتمشى الصياح في الناس، وكانت هيشة كبيرة سببها اطلاع المؤذن'[14].

ويتعين في المسجد إيجاد وتكليف أكثر من مؤذن بمهمة الأذان احتياطا، وذلك تفاديا لما ينجم من اضطراب وتعتر نتيجة تغيبه الاضطراري أو نتيجة إصابته بوعكة صحية أو ما شابه ذلك، والأولى في ذلك الاستغناء عن أخذ الأجرة على هذا العمل إلا للضرورة.

3. موقع البواب والمنظف في الرسالة المسجدية.

الغالب في واقع المساجد المغربية وجود نفس الشخص الذي يتكلف بكلا المهمتين مهمة التنظيف ومهمة فتح وإغلاق الأبواب المسجدية، والسر في ذلك أن المنظف يأتي قبل مجيء الجميع ليهيئ مكان الوضوء ثم يتأخر في رعايته وتعهده له حتى يفرغ الجميع من حاجته من هذا المكان إلى ما بعد انتهاء صلاة الجماعة، فناسب بذلك أن تُسند المهمتان لنفس الشخص، لذلك قمت بدمجهما في مطلب واحد.

والجدير بالذكر في هذا العنصر أن أذكّر ببيان شرف هذه المهمة وعلو منزلة صاحبها، فقد ورد في السنة ما اشتهر بحديث المرأة التي كانت تقمّ المسجد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ **امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَمَاتَتْ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا مَاتَتْ، قَالَ: ((فَهَلَّا آذَنْتُمُونِي، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا))**[15]، وفي القصة التي سبقت حول نذر حنة امرأة عمران ولدها لخدمة بيت المقدس دليل آخر على شرف هذه المهمة المسجدية.

وتعتبر مهمة تنظيف المسجد أمرا بالغ الأهمية في إضفاء رونق جميل على مرافقه وانبعاث رائحة طيبة تجذب النفوس إليه، ويمكن أن ندرك هذا الأمر بشكل خاص في أماكن الوضوء والمرافق الصحية بالمساجد، إذ أن العناية بنظافتها وتطهيرها مما يدنسها له من الأثر الإيجابي على نفوس المصلين الذين يأتونها من أجل الوضوء، ولذلك نلاحظ أن المساجد التي تعرف نوعا من الإهمال في هذا الصدد ينطبع حولها انطباع سيئ من قِبل المصلين، فنجدهم يأخذون احتياطهم من التطهر حتى لا يلجؤون إليها، أمّا إذا امتد هذا الإهمال إلى وسط المسجد بحيث أصبحت أفرشته في مظهر مقزز من قلة التنظيف ووجود روائح منفرة تنبعث منها في حالة السجود، فلا شك أن الحالة هذه أسوأ وستؤدي بلا شك إلى نفور المصلين من الصلاة فيه، لأنهم يفقدون معها متعة التلذذ بالسجود والقرب من الله للسبب المذكور.

وأدعم هذا الأمر انطلاقا من تجربتي الشخصية، وذلك حينما أتوجه إلى مدينة أزمور في أوقات الصلوات المفروضة، أرتاح وأطمئن للوضوء بمسجد معين هنالك، تتميز فيه مرافق الوضوء بنظافة دائمة وانبعاث رائحة طيبة جميلة وتظهر في جمالية دائمة، حيث يهتم بذلك منظف وبواب المسجد على الوجه اللائق، وعلى العكس هناك مساجد أخرى أتجنب الصلاة فيها لما بها من تفريط في هذا الجانب، أو لربما يغيب فيها تواجد عنصر المنظف والذي توكل إليه هذه المهمة.

وتجدر الإشارة إلى أنه ينبغي على الناس أن يسهموا –من باب التعاون– في المحافظة على نظافة هذه الأماكن بما هو متعارف عليه وفي مقدور كل إنسان، مع تشجيع هؤلاء المنظفين ماديا وذلك لأن غالبهم من ذوي الحاجة ويقومون بهذا العمل نظير أجر زهيد لا يسد حاجتهم كما ينبغي، فإن عدم أحدنا مساعدتهم ماديّا فلا يعدم نفسه من مساعدتهم معنويا بالقول المعروف والدعاء.

أما عن أهمية وظيفة البواب؛ فيمكن أن نقول عنها إنها القلب النابض لكل الأنشطة التي تأتي تبعا لتواجد المصلين داخل مؤسسة المسجد، وذلك أن الأبواب مكون رئيسي في المسجد من أجل تحقيق صيانته وتنزيه عما لا يصلح له[1716]، حيث تشمل هذه الصيانة الأشياء **المادية** كالتراب والملوثات مما يكدر مظهره وهواءه، وتشمل أيضا الأشياء **المعنوية** كالتعرض لمتاعه بالسرقة[18] أو الإفساد داخله بنوع من أنواع الإفساد من طرف المجرمين أو فاقدي العقل من المجانين وغيرهم، وتختلف أنواع الإفساد الممكنة من مكان إلى مكان ومن عصر إلى عصر، فليس لها إذن ضابط يضبطها.

من هنا تظهر الأهمية العظيمة لمهمة البواب والمتجلية أساسا في حفظ المسجد، وعلى عكس هذا الحفظ تكمل هذه المهمة أيضا في فتح أبواب المسجد أمام وجوه المصلين خلال أوقات اشتداد حاجتهم إلى التردد على المؤسسة المسجدية لتلبية فراغهم من خلالها، وهنا نواجه إشكالا حقيقيا قائما حول إغلاق وفتح أبواب المساجد، هل هذه العملية إيجابية في كونها مقصورة على أوقات الصلوات الخمس فقط؟ أم يجب فيها إعادة النظر حتى تكون مؤسسة المسجد مفتوحة للعموم ومتاحة لهم دون عائق؟

لا شك أن الإجابة عن السؤال الأول بالموافقة التامة والكلية لا تنسجم مع مقصد هذا البحث ومع ما يريد التأسيس له، كما أن السؤال الثاني كذلك يتطلب أخذ مجموعة من الاحتياطات اللازمة لتسييج هذه القضية بما يحمي حدودها من عبث العابثين.

وبالتالي فوسطية الإسلام وموضوعيته تستدعي منا أن نسجل موقفا نقديا في الوضع الراهن للمساجد الحالية والذي يتميز بتشديد كبير في غلق أبواب المساجد والتضييق على تواجد المصلين به، دون النظر في مآلات هذا الوضع وما يمكن أن ينتج عنه من فتح الفصل للتجمعات السرية في البيوت وتفريخ نماذج الإرهاب والفكر الداعشي[19] الذي يهدد أمن البلاد ونسيجها الفكري والاجتماعي، فلا شك أن سبب لجوء فئات معينة من المجتمع إلى فكرة التجمع السري وإقامة مجالس خاصة في البيوت هو إغلاق المساجد وتركها لخصاص مهول في تغطية الخصاص الروحي والإيماني والفكري والتربوي للأفراد.

فإعادة النظر في وضعية فتح وإغلاق المسجد أمر محتم لتصحيح الوضع الحالي، فلا يعقل أن تكون مؤسسة مسجدية بتجهيزات متعددة ومرافق مختلفة معطلة الاشتغال سوى في أوقات محدودة من اليوم والليلة، بحيث لا تكفي تلك الأوقات الضئيلة لتغطية وتلبية مختلف أوجه الخصاص التي يعانيها الأفراد والجماعات داخل المجتمع، ولذلك نجد أن علماءنا تنبهوا من قبل إلى ظاهرة إغلاق المساجد فتحدثوا عن بعض ضوابط هذه المسألة، يقول القاسمي: "والقصد أن غلق أبواب المساجد والمدارس في النهار لا يجوز إجماعًا إلا **لضرورة**، والضرورة تقدر بقدرها، وأما في الليل فيجوز إغلاقها إذا كان فيها ما **يخشى عليه** من سارق. ويجب على بوابها أن يبيت خلف بابها لأنه قدّر له **مرتبه** لذلك "وكل مرتب من جهة الوقف لأمر فلا يحل تناوله إلا برعاية ذلك الأمر وأدائه والقيام به" وإلا فتناوله سحت وآكله إنما يأكل في بطنه نارا.

وكم جر **تساهل** البوابين على المساجد والمدارس والجيران من حوادث السرقة ما لا يعد ولا يحصى، فكم سجادة سرقت من مسجد ومدرسة، وكم حجرة نهبت وكم من حائط نقب منها وتوصل منه إلى دكان تاجر فسرق ما فيها. ولو كان لبواب المسجد وهو خادمه عين لا تنام كالحارس لما وقع شيء من ذلك، فوَا أسفاه على شروط الواقفين الضائعة وعلى التهام أموال الوقف بأنفس طامعة ضارة غير نافعة"[20].

يبين هذا النص أن الأصل في المؤسسة المسجدية أن تفتح أبوابها، وما الغلق إذا إلا إجراء تقتضيه مواجهة أمور أخرى عارضة تستدعيه، فمشكل إذا أن ينقلب هذا الأصل إلى غلق، ويصبح الفتح أمرا عارضا، كما ينبغي التفريق في الحكم بين النهار والليل، وذلك لأن لكل منهما خصوصياته، ومسؤولية البواب في القيام بمهمته مسؤولية عظيمة تتوقف عليها مجموعة من المصالح التي تكفل السير العادي لنشاط المسجد، فالإخلال بذلك من شأنه أن يعيق السير العادي للمؤسسة المسجدية، أو يحدث نوعا من العرقلة أو سوء النظام، كما ينبغي الاهتمام بهذا الشخص نظرا لأنه يؤدي وظيفة تتوقف عليها وظائف مسجدية كبرى ولا تقوم إلا بالأولى، فليس من الحكمة والعقل أن يتم استصغار مهنته ويخصص له راتب دنيء لا يسد جوعته، ولا يلتفت إليه في المناسبات التي تستدعي نوعا من التآزر والتكافل، هذا الصنف أحوج ما يكون للدعم من الذي يسأل جهارا.

وبالتالي ينبغي وضع مجموعة من النصائح متعددة الزوايا والتي من شأنها أن تجعل البواب المسجدي ناجحا وموفقا في عمله:

1-التفاعل الإيجابي مع المصلين وعدم التضييق على المسبوقين منهم للتعجيل بغلق الأبواب، فكثير من المصلين في مساجد عدّة يتأذون من سلوكيات تضييقية لبوّابي المساجد وانتهارهم للمصلين، مما يسبب نفورا لهم من هذه المساجد بعينها.

2-التحلي باليسر والتروي من أجل إتاحة الفرصة لمن فاتته الجماعة أن يصليها بالمسجد، دون إغلاق الفصل في أوجههم كما يفعل البعض، متعللا بالتزامه بالوقت، وذلك أن هذه المواقف تتطلب نوعا من التعامل بمنطق اليسر والليونة، فإن كلّ آت إلى المسجد إنما يلتمس تحصيل بركة وأجر الجماعة فيه، أو على الأقل التمكن من الصلاة فيه على أية حال.

3-احتساب الأجر في أداء هذه المهمة باعتبارها وسيلة لولوج المصلين إلى مكان كسب الحسنات ومغفرة السيئات.

4-عدم التساهل في الوضعيات التي تتطلب الحذر والحيطة ومعالجة المواقف بالحزم، وذلك لأن الزمان قد تغير وأصبح كثير من الغرباء يفاجئون الناس بأمور محبوكة لا تتصور بغرض النصب والاحتيال والتعامل بمنطق المكر والخديعة.

5-تسهيل ولوج المصلين في المساجد ذات الأبواب المتعددة بفتحها كاملة، خاصة إذا كان المسجد يحج إليه الناس من أماكن شتى متفرقة، فكثير من الناس يفوته مثلا إدراك ركعة مع الإمام بسبب غلق الفصل المتواجد من ناحيته، فيضطره ذلك إلى الانتقال نحو باب في جهة أخرى بعيدة ليلج المسجد.

وإذا ما عدت إلى قضية مناقشة تعامل الدولة أو الوزارة الوصية مع إغلاق المساجد وتشديدها في هذا الأمر، فإن معالجة هذا المشكل لا يقتضي بالضرورة النظر إليه من جهة التعميم، فهناك من المساجد ما لا يمكنه أن يكون مفتوحا دائما، ويمكن حينها تعيين مساجد معينة في المدينة تتميز بوُسع في فتح أبواب المساجد وتركها رهن إشارة رواد تلك المساجد، خاصة إذا كانت تلك المساجد لها من المواصفات المادية والعملية ما يؤهلها لذلك.

تجدر الإشارة إلى أن الكلام عن الأبواب والبواب لا يعدو أن يكون أمرا تنظيميا إشعاعيا، وفي المقابل نجد الشيعة ينحو عندهم موضوع الأبواب والمداخل منحى عقديا صرفا كما له صلة بجذب الإنسان نحو الفضاء المسجدي، ولهم في ذلك اقتباسات تصميمية من حضارات أخرى، يقول غادة عبد المنعم الجميعي: 'يعتبر عنصر المدخل من العناصر المعمارية الهامة في عمارة المساجد الإيرانية بشكل عام وقديم موروث من مداخل قاعات **إيوانات القصور الساسانية** ...ومدخل المسجد هو الحد الفاصل (في الفكر الإيراني) **بين العالم المادي والعالم المعنوي** حيث يمثل الوصول إليه مقدم العالم المعنوي حيث التسليم لله والوصول إليه، ومن خصائص المداخل الإيرانية والتي تنم عن فكر وعقيدة أن تكون شديدة الارتفاع والاتساع حيث **تمثل العظمة وتظهر مدى حقارة الإنسان** ... كما أنه من خصائصها أن تكون ذات مظهر خلاب جذاب من الخارج حيث تدعو المصلي للدخول إلى المسجد ويكون تأثيرها من الداخل معدوما حتى لا تجذب إلى الخروج من المسجد'[21].

4.خاتمة:

من أهم النتائج التي يمكن أن نخلص إليها من خلال هذا المقال ما يلي:

-أهمية النشاط الفعال لكل من المؤذن والمنظف في المنظومة المسجدية.

-توقف نجاح وتوفيق الرسالة المسجدية في أهدافهما على جودة مهام هذين العنصرين.

-أداء مهام كل من المؤذن والمنظف والبواب مشروط باجتناب التساهل وتوخي الانضباط بالوقت.

-هناك اختلاف في معايير انتقاء وتوظيف هذين العنصريين في المسجد تبعا لخصوصيات نشاط ومهام كل واحد منهما.

-خدمة المصلين وتلبية حاجتهم هي الغاية الأسمى من الرسالة الوظيفية لهذين العنصريين في عملهما المسجدي.

5.الهوامش الواردة في المقال:

[1] سأذكر مبرر انتهاج هذا الاقتران بين الوظيفتين في مستهل معالجة تفاصيل هذا العنصر ضمن متن هذا المقال.

[2] بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: أبو محمد الحارث البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (282هـ)، كتاب الصلاة، باب الأذان، رقم: 120، ج1/ ص246، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1413هـ/ 1992م.

[3] صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم: 387، ج1/ ص290.

[4] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحي بن شرف النووي (676هـ)، ج4-ص91/ 92، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1392هـ.

[5] السنن الكبرى: البيهقي (458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب ذكر جماع أبواب الأذان والإقامة، باب الترغيب في الأذان، رقم: 2037، ج1/ ص635، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/ 2003م.

[6] صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم: 388، ج1/ ص290.

[7] سنن ابن ماجه (273هـ): كتاب أبواب الأذان والسنة فيها، باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، رقم:723، ج1/ ص464.

[8] التلعات: واحدتها تلعة وزان قلعة، أرض مرتفعة غليظة.

[9] مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: أبو الحسن الهيتمي (807هـ)، كتاب المواقيت، باب فضل الأذان والمؤذن وإجابته، رقم: 294، ج1/ ص444، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني وعبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1412هـ/ 1992م.

[10] صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة، رقم: 384، ج1/ ص288.

[11] صحيح ابن خزيمة: أبو بكر ابن خزيمة النيسابوري (311هـ)، كتاب الصلاة، باب ذكر خبر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بعض أهل الجهل أنه يضاد هذا الخبر الذي ذكرنا، رقم: 406، ج1/ ص211.

[12] المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، ص131، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، ط1، 1391هـ/ 1971م.

[13] مؤسسة المسجد: عبد العالي المعكول، ص80.

[14] مساجد مراكش عبر التاريخ من التأسيس إلى العهد العلوي: أحمد متفكر، ص20/ 21 بتصرف.

[15] صحيح ابن خزيمة (311هـ): كتاب الصلاة، باب تقميم المساجد والتقاط العيدان والخرق منها وتنظيفها، رقم: 1298، ج1/ ص639.

[17] إعلام الساجد بأحكام المساجد: ص382/ 383.

[18] المرجع السابق: ص340 بتصرف.

[19] أقصد به الفكر الثوري الجهادي غير المتأصل بالضوابط المنهجية الشرعية، وهذه التسمية التركيبية هي نسبة إلى كلمة داعش، أو ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في أراضي الشام، والمتمثلة أعمالهم في الجرائم الإرهابية والتقتيلية التي يخوضها هذا التنظيم الخارجي بأراضي الشام، وذلك باسم الجهاد في سبيل الله

وتحرير الأرض من الغاصب، لكنها أحداث تنم عن جهل عميق بأصول الحرب ونظامها، ومن المؤسف أن كثيرا من الشباب الحالي حينما وجد فراغا تأطيريا من مؤسسة المسجد في هذا المجال، ارتمى بسهولة في أحضان هذا الفكر الخطير.

[20] إصلاح المساجد من البدع والعوائد: محمد جمال الدين قاسمي (1332هـ)، ص233، المكتب الإسلامي، ط5، 1403هـ/ 1983م.

[21] العمارة الإسلامية بإيران: غادة عبد المنعم الجميعي، ص502 بتصرف يسير، كلية الآثار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2014م.

6.قائمة المراجع:

1-إصلاح المساجد من البدع والعوائد: محمد جمال الدين قاسمي (1332هـ)، المكتب الإسلامي، ط5، 1403هـ/ 1983م.

2-إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (794هـ)، تحقيق: مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1431هـ/2010م.

3-بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: أبو محمد الحارث البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (282هـ)، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1413هـ/ 1992م.

4-صحيح ابن خزيمة (311هـ): تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، بدون سنة ولا طبعة.

5-العمارة الإسلامية بإيران: غادة عبد المنعم الجميعي، كلية الآثار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2014م.

6-سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ / 2009م.

7-السنن الكبرى: البيهقي (458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/ 2003م.

8-مؤسسة المسجد -الرسالة الحضارية والوظيفة الاجتماعية-: عبد العالي المعكول، مطبعة أميمة، فاس، المغرب، الطبعة 1، 1433هـ/ 2012م.

9-مساجد مراكش عبر التاريخ: أحمد متفكر، الوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط3، 1431هـ/ 2010م.

10-المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، ط1، 1391هـ/ 1971م.

11-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

12-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحي بن شرف النووي (676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1392هـ.

13-مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: أبو الحسن الهيتمي (807هـ)، كتاب المواقيت، باب فضل الأذان والمؤذن وإجابته، رقم: 294، ج1/ ص444، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني وعبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1412هـ/ 1992م.